

قراءة في ديوان في حضرة النور

1- قصيدة (قَالَاتُ مَسَاءُ الْخَيْرِ). مع بداية المساء، بدأ الشاعر رسالةً يفيض بها محبةً وعشقًا إلى من يحب، واستهلها بإبداء إعجابه بجمالها الأسر، وحمد الله أن رزقه رمانة الفردوس. ثم اعترف لها بأنها جنى قلبه، وأنها كعبة العشق في حياته، وإليها تتجه مشاعره، وحولها تدور أحلامه، فهي ملهمته وسر سعادته. روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «قَوْلُ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ إِنِّي أُحِبُّكَ لَا يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِهَا أَبَدًا».

لَا تَدْرِي بِأَنَّ الْخَيْرَ مُذْ طَلَّاتُ أَطَلَّ...

وَجَمَالَهَا الْفَتَّانُ كَعَبِيَّةٍ عَاشِقٍ

وَالطَّائِفُونَ بِهِ عِيُونُ مُتَيِّمٍ

لَمْ تَلْقَ لِلْإِحْرَامِ إِلَّا الْوَجْهَ حَرًّا...

يَا مَنْ سَلَكَ الْعُشَّاقَ مَهْلاً...

هَذَا الْجَمَالُ أَجَنِّي جِدًّا

فَإِنْ قَارَبْتُ مَعْرِفَةَ بِهِ أَرْدَادُ جَهْلًا

يَا غُصْنُ رُمَّانٍ مِنَ الْفِرْدَوْسِ

نَحْوِي قَدْ تَدَلَّى...

هَذَا الْكَمَالُ يَفِيضُ حُسْنًا

يَا جَمَالَ اللَّهِ فِي قَلْبِي تَجَلَّى..

2- قصيدة (حَوَّاءُ). يعبّر عن إيمانه بكمال حواء، ويرفض الانتقاص من قدرها، ويتأمل كيف خلق الله سبحانه وتعالى حواء بهذا الحسن والجمال. وقد ارتسمت في عقله وقلبه أجمل صورة لها، صورة لن تزول أبدًا. ويتذكر ما ورد عن رسول الله (ص) إذ قال: «رفقًا بالقوارير»، حائثًا على الرفق بالنساء وحسن معاملتهن.

إِنَّ قِيلَ: إِنَّكَ يَا حَوَّاءُ نَاقِصَةٌ

فَاللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَخْلُقَ النَّاقِصَ

يَا بَدِيعَ الْخَلْقِ، يَا عَيْنَ الْكَمَالِ أَمَا

تَرَيْنَ أَنَّكَ مِنْ إِبْدَاعِهِ الْأَوْصَى!

خُصِّتْ بِأَرْوَاحِ رَسْمٍ فِي الْوُجُودِ كَمَا

بِسُورَةِ رَبِّهَا فِي وَحْيِهِ خَمَّ

كَذَا النَّبِيُّ أَلَمْ يَعْهَدْ لَأُمَّتِهِ

رَفَقًا بِهِذِي الْفَوَارِيرِ الَّتِي أَوْصَى!

3- قصيدة (مريعاد). حبُّ اللقاء، وكرهيةُ الفراق، يجعلان القلبَ شديدَ التعلُّقِ بمن يحب. وكلما غاب ذلك الشخص، شعر بوحدةٍ عميقة، كأنَّه طفلٌ غابت أمُّه عن ناظره، أو كمن كان يعيش حلمًا جميلًا ثم استيقظ منه على صوتِ طرقٍ على الباب. فالغيابُ أحيانًا لا يُقاس بطول مدته، بل بما يتركه من فراغٍ في القلب.

كُلَّ مَسَاءٍ لَدَتْهُهَا عَنْ مَوْعِدِي

لَا تَخَفْ قَالَتِ ، فَلَا تُقْيَا نَا اقْتَرَبْ

بَيِّنْمَا مَيَعَادُهَا فِي زَيْفِهِ

مِثْلُ طِفْلِ دَقَّ بَابًا وَهَرَبَ

4- قصيدة (اشْتِيَاهُ). بعد أن باح لها بحبه وأشاد بجمالها ، قالت له: «إنك مُنْذِبَهِرِ الآن ، فلا ترفع سقف توقعاتك أكثر؛ فقد يتغير رأيك مع مرور الزمن بسبب عوامل خارجة عن إرادتنا».

قَالَتِ : أَطُنُّكَ مُشْتَدِيهِ ..

وَأَزَحَّتْ طَيْنَةً عَالَمِي السُّفْلِي عَنِّي ..

أَبْصَرَتِ

أَنْزِي بِكُلِّي مُنْتَدِيهِ

5- قصيدة (شَبَكَةُ الصَّيْدِ). شَبَّهَ نفسه بصيادٍ يقف على شاطئ البحر ، يُلقِي شبكته لاصطياد سمكة . لكن ، قبل أن يظفر بها ، كانت هي قد اصطادته ، وجعلت منه طُعمًا يجذبه إليها . وهكذا انقلب الصيادُ مصيدًا .

عِنْدَمَا هَيَّأْتُ لِلصَّيْدِ شِبَاكَ الْعَيْنِ

صَادَتْنِي فِي عَيْنِ فَتَاةٍ شَبَكَةُ

وَبَدَتِ عَيْنَايَ فِي حَصْرَتِهَا مُرْتَبِكَةً

حِينَهَا أَيْقَنْتُ أَنْزِي الْبَحْرُ وَالطَّعْمُ

وَأَنْزِي السَّمَكَةُ

6- قصيدة (شَرَكَهُ الْعَيْدُ نَدِيْنُ). بدأ يرسل رسائله عبر جراحة العيون، حتى سلبته بعضُ النظرات قوة الحديث وأسرته في صمتها. فبعض العيون ليست مجرد نظرات، بل اعترافاتٌ مشتعلة لا تحتاج إلى صوت. عيونٌ لا تُنسى.. لأنها لا تُرى فقط، بل تُحسّ.

فليست كل العيون تُبصرها، فبعض العيون تُصيبك دون إذن، تدخل أعماق قلبك من أول نظرة، وتترك أثراً لا يزول.

كما قال الشاعر / مصطفى صادق الرافعي:

يا سحرَ العيونِ ما ترى

قلبي غدا من عينها مسحورا

ذاتٌ محيِّاً هو فينا جنةٌ

قد خلقت فيها العيونُ حورا

صيرني مذ حبوها كالذي

أُخرجَ من جنته مدحورا

جزء من قصيدة الشاعر:

تعرقلتُ بالعينين حينَ مَرَرْتُ

وَلَايَتَ بما دُونَ الْعُيُونِ عَثَرْتُ

تَسَمَّيْتُ نَحْوَ الْحُسْنِ مِنْهَا فَلَمْ يَعُدْ

سِوَى الْجِسْمِ مِنِّْي إِنَّ مَدَدْتُ أَدْرْتُ

نَظَرْتُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ مِنْهَا فَخَلَّتْنِي

إِلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ نَظَرْتُ

تَمَسَّكَتْ بِالرَّمَشِ الْمُعَرَّشِ فَوْقَهَا

وَلَوْ غَمَزَتْ لِلْغُورِ كُنْتُ حَدَرْتُ

عَبَرْتُ عَلَى الْأَجْفَانِ مِنْهَا كَأَنَّنِي

إِلَى حَافَةِ الْكَوْنِ الْفَسِيحِ عَدَرْتُ

في نهاية المطاف همسة: (في ظلمة الهموم، هناك دائماً بصيصٌ من نور يمنحنا الأمل بقرب الفرج وانسراح القلب ليتبدل الحال إلى أحسن حال، ثق بالله.. لترى النور). وهذه قراءة قد تكون تعبيراً قاصراً عما يريد الشاعر من معنى، ولكن الكل يقرأ الصورة من عين وإحساس وتلمس لمعاني الكلمات والحروف وهمز ولمز يبقى لمن يقرأ يوافق أو يرفض التعليق، وخصوصاً من الشاعر الذي تجاسرنا بتصفح الديوان بهذه الطريقة واجتزاء بعض الأبيات من قصائده.